

العدد 35، صيف 2024

مجلّة فصلية تصدر عن جمعية تونس الفتاة



حوار مع آلان باديو: إعادة اكتشاف الحبّ

ترجمة: مريم مقعدي

ما وراء الضعف الفادح للجيوش العربية؟ ص. 4-5

ترجمة: حمزة عمر

يا أساتذة العالم اتحدوا... (الجزء الثاني) ص. 6-9 مقال لفيليب ميريو

ترجمة: خالد جبّور

عيد المرأة الفلسطينية ص. 10-11

هل همّشت الدراسات الأكاديمية دور المرأة التونسية في مقاومة ص. 12-13 الاستعمار؟

منصف سلطاني

سمية رطبي

التصميم

حمزة عمر

فريق التحرير

رئيس التحرير

حمزة عمر

فهمي رمضاني مريم مقعدي

صورة الغلاف Perchance.org

للتواصل معنا

حروف حرّة

مجلّة فصلية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

تأسسّت في مارس 2021

redaction@tounesaf.org

حوار مع آلان باديو: إعادة اكتشاف الحبّ

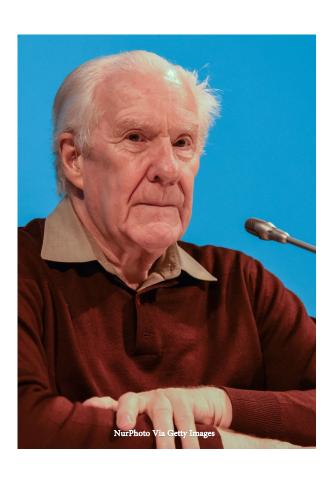
*لقد قلتم بضرورة " إعادة اكتشاف الحب". فما الذي يهدّده؟

ما يهدد الحب في المجتمعات الحالية، التي تسودها الفردانية، هو الحضور الدائم للفظة المنفعة، التي عادة ما تقدم كمحرك للحياة الجماعية. إنها قناعة شائعة جدا، بان كل واحد لا يتبع (أو لا يبحث) إلا (عن) منفعته الخاصة، حتى في بحثه عن الحب.

ففى مواقع التعارف مثلا، نحن نحاول أن نعثر عن أفضل شخص مكن أن يتماشى معنا، كما نحاول أن ننظم لقاءات مع من لهم نفس ميولاتنا... إن هذه التجارة (أو المعاملة) تستند إلى مقاربة حمائية للحب، وتصل حتى معارضة ما هو موجود حقا: إنه شعور لا مبال، تنجر عنه عدة أخطار، ولا يحمل أي ضمان، وهو في المقابل يفترض (أو يشترط) الرغبة التي تعلى أو تخترق منافعنا الخاصة.

يجب أن نعيد اكتشاف خطر المغامرة الغرامية، ضد كل أشكال الأمان والراحة. في الواقع، هناك تياران فلسفيان حطًا دامًا من الحب.

من جهة، نجد المذهب المتعوى المعمم (أو مذهب المتعة/ الهيدونيزم)، الذي يفضل البحث عن المتعة وعن الامتلاء الظرفي. ومن جهة أخرى، نجد كل التقليد التشاؤمي للأخلاقوية النقدية، الذي يرى في طاقات الرغبة مجرد وهم، خداع، بهرج من الرغبة وكحامل



غير أن التقليد الحالي يقتضي بترك الآخر

منذ أول صعوبة يواجهها، منذ الحدث

الأول حول مشكل اختيار العطلة أو أي

إن الحب يوسع من نظرته الخاصة للعالم،

بشكل ملحوظ. ذلك أن الاهتمام الذي

نوليه للآخر، لا يقوم بالضرورة على

التضحية. لا شك أن، أخطار الألم والعنف

متضمنان في الحب، التي يمكن أن نذكر

منهم بعض الجرائم العاطفية أو تلك

العاطفة الهوجاء التي تسمى الغيرة.

نشر النصّ الأصلى للحوار بالفرنسبة في:

SciencesHumaines, Hors Série, N°

13, Octobre/Novembre 2022, pp.

12-13

شيء آخر...

*لقد قلتم في "تقريظ الحب"، أن

شرط الفلسفة. اذ يصرح سقراط في الجمهورية أن "من لم يبدأ بالحب، فلن يعرف أبدا ما هي الفلسفة".

تماما، لأنّ الحب هو تلك التجربة التي تخاطر بقبول الآخر. يكتب أفلاطون، أن من يقبل عنف وتبعية الحب، يعطينا شهادة في الشجاعة. وانا مثله، أدعم أن الشجاعة

للآلام والاغتراب.

الحب في عمقه هو تعلم، وقبول بالآخر في اختلافه... هل يمكنكم تفسير هذا؟

إن الحب بالنسبة إلى أفلاطون هو

والصمود هما فضيلتان غراميتان .



ترجمة: **مريم مقعدي** مجازة في الفلسفة الكاتبة العامة لجمعية تونس الفتاة mogadimariem@gmail.com

الحب هو تلك التجربة التي تخاطر بقبول الآخر

ما وراء الضعف الفادح للجيوش العربية؟



ترجمة: حمزة عمر رئيس تعرير مجلة "عروف عرة" hamza@tounesaf.org

لعلّ الأهمّ من ذلك
يكمن في كون الحكام
المستبدين العرب غالبا
ما يخشون من أن
تنقلب جيوشهم
عليهم

أثنى الكثيرون على فرق الدفاع الجوى العربية لمساهمتها في صدّ الهجوم الصاروخي الإيراني على إسرائيل خلال شهر أفريل. قد يُعدّ ذلك استثناء، إذ قلما كان البأس الحربي للدول العربية محلّ ثناء، بل أنّ للكثير منها سمعة عسكرية سيّئة. تعرّضت هذه الجيوش للإذلال مرات متتالية في حروبها مع إسرائيل. وقد أثبتت ضعفها في حرب الخليج سنة 1991، إذ أنّ مصرا نشرت آنذاك فرقتين مدرّعتين، ولكن الولايات المتحدة قامت بسرعة باستبعادها لعجزها الواضح، حتى أمام مقاومة عراقية محدودة، فيما لم توفّر دول خليجية أخرى، على غرار السعودية، غير عدد قليل من القوات. مؤخرا، ورغم الدعم الأمريكي الضخم، غرق التدخل العسكري الذي قادته السعودية في المستنقع اليمني.

ليس المشكل في قلّة الأموال أو العتاد. يبلغ الإنفاق العسكري لدول مجلس التعاون الخليجي الستة مجتمعة، بالإضافة إلى مصر والأردن أكثر من 120 مليار دولار في السنة (في حين للناتو 380 مليار دولار في 2023). كان إنفاق الأعضاء الأروبيين الثلاثين عكن لهذه الدول مجتمعة أن تعبّئ طائرة قتالية. تعتبر الأردن ومصر من طائرة قتالية. تعتبر الأردن ومصر من بين الدول التي تتلقى أكبر قدر من الدعم العسكري الأمريكي، إذ تتلقيان سويًا حوالي 1.7 مليار دولار.

يُبدّد أغلب هذه الأموال. يقول بول كولينز، الملحق البريطاني العسكري

السابق بالقاهرة، أنّ القوات المسلحة العربية كثيرا ما تبذّر نفقاتها على عتاد عبثي، كالطائرات القتالية النفاثة غير المتناسبة مع التهديدات المتعارضة التي تواجهها. يشير أندرياس كريغ، من الكلية الملكية بلندن، أنه كثيرا ما تُستعمل هذه الشراءات السخيّة لكسب نفوذ لدى الحكومات الغربية. إن قيام قطر بشراء طائرات اف -15 ورافال وتيفون أكسبها حظوة في واشنطن وباريس ولندن على التوالي. إنّ تجارة بيع وتسليح وصيانة الطائرات القتالية يلتهم مبالغ جسيمة. خلال عشر سنوات، أنفقت السعودية 54 في المائة من قيمة واردات الأسلحة لديها على الطائرات. يأتي هذا الهوس بالقوة الجوية عادة على حساب نفقات الهياكل العسكرية الأخرى، على غرار جيش البر والبحرية.

في الواقع، بالنسبة لدول يعتمد رخاؤها على نفاذها إلى النقل البحري التجاري، فمن المهم أن نلاحظ أن كثيرا منها لا يولى إلا اهتماما قليلا بجيوشها البحرية. عادة ما تكون أساطيلها محدودة ولا تهتمّ إلا بالدفاع عن السواحل. كما أنها تفتقد مجسات التنبيه السريع والمعترضات المفيدة للدفاع الجوي المنقول بحرا. لم تقم هذه الأساطيل بالكثير لصدّ هجمات الحوثيين في البحر الأحمر. يلاحظ دايفد روبرت، وهو أيضا من الكلية الملكية بلندن، أن عدة دول عربیة لم تر داعیا، علی امتداد عقود، للاستثمار في سلاح البحر نظرا لتعويلها على الحماية الأمريكية والبريطانية البحرية. وحتى الدول

التي شرعت في إنجاز مثل هذا الاستثمار، فإنها تواجه نقصا حادا في الموارد البشرية. اقتنت قطر سبع سفن جديدة من إيطاليا، ولكنّ تشغيلها سيتطلب 660 بحارا إضافيا، وهو ما يعادل ربع العدد الحالي المشتغل

لعلّ الأهمّ من ذلك يكمن في كون الحكام المستبدين العرب غالبا ما يخشون من أن تنقلب جيوشهم عليهم. إنّ أغلب القادة العسكريين يأبون منح عموم جنودهم الاستقلالية المطلوبة في العمليات الحربية المشتركة على غرار ما يحدث في الغرب. يلاحظ كريغ أنّ عمليات التدريب غالبا ما تكون خاضعة لسيناريوهات مفصلة موضوعة سلفا ولا تشبه حقيقة الميدان إلا قليلا. عادة ما تكون الجيوش العربية منفصلة عن الحرس الموضوع على ذمة الحكام. في السعودية، يلعب الحرس الوطنى، وقوامه 130 ألف جندي، دور قوّة الحماية الشخصية للعائلة المالكة هناك. في مصر، يشرف الجيش على امبراطورية تجارية شاسعة تعتنى بكل شيء، من المنتجعات السياحية وحتى منشآت البناء.

يأمل البعض أن تقدر الجيوش العربية على العمل كقوات حفظ سلام في غزة، ولكن الخبراء يشككون أن تكون لها الإمكانات اللازمة للقيام ممثل هذه المهمة الصعبة. في أغلب الحالات، يصعب على هذه القوات التعاون فيما بينها. يقول كينيث بولاك، من مركز الأبحاث المسمى معهد المشروع الأمريكي، ومؤلف كتاب حول ضعف الأداء العسكري العربي "كلهم متشككون، وما يزالون لا يثقون في بعضهم البعض". كانت هناك مقترحات، بين 2014 و 2018، لإقامة هيكل عسكري خليجي مشترك، سرعان ما



أحبطت نظرا لقلق الدول الصغيرة من سيطرة جيرانها الأكبر منها. بالنسبة إلى عديد القادة العرب، يُعتبر ضمان التعـهـ د الأمريكي بأمن المنطقة أكثر أهمية من إقامة كتلة عربية مشتركة. قليلون هم الذين مكن أن يفكّروا في خوض حرب ضدٌ دولة أخرى دون دعم أمريكي. ما تزال دول الخليج تعوّل على الولايات المتحدة في الاستخبارات والرقابة والاستطلاع ولمراكزها الخاصة بالمراقبة والتحكم ومنصات التزوّد في المنطقة. ما زال السعوديون يطلبون بإصرار عقد معاهدة دفاع مع الولايات المتحدة.

شجعان الصحراء

هناك بعض المظاهر القليلة للامتياز القتالي. للأردن والإمارات جيوش محترفة جيدة، خصوصا من حيث قواتها الخاصة وطيّاريها. في 2015، قامت القوات الإماراتية الخاصة بهجوم برمائي معقد على ميناء عدن أثار إعجاب الملاحظين الغربيين. يقوم الأردن بانتظام بإنزال مساعدات في غزة عن طريق الجو، وهـى مهمة صعبة في قطاع مكتظ. إنّ وحدات النخبة الصغيرة والمدرّبة جيدا كوّنت

داخل صفوفها روح تضامن مُلهمة. لكن الخبرة المختصة عادة ما تكون مستوردة، فهياكل مثل الحرس الرئاسي والقوات الخاصة الإماراتية تلجأ إلى مستشارين أجانب، أغلبهم من الضبّاط الغربيين، ويقودهم جنرال أسترالي.

إضافة إلى ذلك، هناك بوادر تعاون ناجع. يقول كولينز أنّ إحباط الهجوم الإيراني على إسرائيل، رغم أنّه اعتمد على التنسيق الأمريكي، لم يكن ليتمّ لولا درجة من التعاون العربي.

منذ 2019، عندما أوقَف هجوم بالمسيرات، على الأرجح من قبل إيران، نصف صناعة النفط السعودية، شرعت دول الخليج ودول عربية أخرى في العسكرية إلا قليلا. دول الحسيج ر ر . تجميع أنظمة دفاعها الجوي. يزعم \dot{t} \dot{t} الدفاع الجوى الخليجية تتفوق على نظيراتها الأروبية. في 2022، انضم عدد من الدول العربية سرًّا إلى إسرائيل في حلف إقليمي واسع للدفاع الجوي بقيادة أمريكية قام بربط أنظمة كشف الرادار المختلفة معًا.

> ما زال بعض المحللين حذرين. يقول بولاك: "لا يوجد تقنيا ما يعيق تجميع

أشياء من قبيل الدفاعات الجوية. المسألة برمّتها سياسية". إن التغييرات السياسية الكبيرة التي تحدث داخليا قد تهيَّء الساحة لإصلاح عسكري. إن ممالك الخليج واعية بأنّ الانتقال الطاقى يلوح في الأفق، ولذلك تريد إعادة تشكيل اقتصاداتها ومجتمعاتها. تقوم هذه الممالك بتحويل أموالها إلى التكنولوجيا العسكرية المتقدمة، بما في ذلك مراكز أبحاث الذكاء الاصطناعي، بدلا من الاكتفاء بصرف مبالغ طائلة على منصات تقليدية. تأمل دول الخليج في أن ينعش الإنفاق على معدات عسكرية مبهرة الاقتصاد المدني. ولكن ربما لن ينفع ذلك في تلميع سمعتها

Economist بتاريخ 5 ماي 2024. رابط المقال الأصلي: https://www.economist.com/ middle-east-andafrica/2024/05/05/why-arearab-armed-forces-soineffective

بالنسبة إلى عديد القادة العرب، يُعتبر ضمان التعهّد الأمريكي بأمن المنطقة أكثر أهمية من إقامة كتلة عربية مشتركة

يا أساتذة العالم اتحدوا... (الجزء الثاني) مقال لفيليب ميريو



ترجمة: خالد جبور أستاذ مبرز في الترجمة

22

اليوم، هناك العديدُ
من الأشياء يمكن
قضاؤها طيلة اليوم
دون ممارسة فعل
التدريس في الفصل،
طالما أن هناك أمورا
عكن (بـل يجب)
الاهتمامُ بها خارجَ

حجرة الدرس 🍟

فعلُ التدريس: تطبيقٌ أم تصوّرٌ واستحداث؟

في الحقيقة، تفرض هذه المهمة نفسها نظرا للضرورة الحيوية التي يكتسيها التزامُ الأساتذة وشحذ قواهُم الجماعية للإجابة عن أسئلة الرهانات الحضارية الكونية التي تواجهنا، شِئنا ذلك أم أبيناه. والحال أنه، وبالرغم من تطور المستوى الأكاديمي لتوظيف الأساتذة، فإنه لمن الواضح أن هذه الفئة أصبحت تعيش نوعا من البَلْتَرة [1].

نعتقد أن كارل ماركس أطلق اسم البروليتارية على العُمّال، والحال أنَّ هذا الفهمَ فهمٌ ناقص. لقد بيّن ماركس، بطريقة علمية، كيف أن الطبقة العاملة هي أولى الطبقات المتضرّرة من سيرورة البلترة. فالآلة تفرض قوانينها وَالعمّالُ مُكرَهون على الخضوع لسلطانها المتمدّد [2]. وقد بدأ هذا الامتداد بالهيمنة على غط عيشهم (تحديد ساعات العمل...)، ليستمر عبر تقسيم العمل. هذا العمل الذي أصبح تبيان طبيعتِه مستحيلا (التايلورية في الأزمنة الحديثة)، عملٌ سمتُه الأساسيةُ هي العزلة المُمَأسَسَة، حيث لا مجال فيه للتعاون والعمل المشترك، والذي يؤدي إلى استحالة استثمار الذكاء الإنساني من أجل الإبداع في العمل. هذا ما يسميه ماركس اغتناء المساهمين (مالكــي الأسهم) وتفقير (مادى وفكرى) المنتِجين المباشرين. هذا النظام الفارض لسلطانه بطريقة ديكتاتورية يستحيل في ظله أن يُطوّر الفرد ذاته فـى شغله، وأن يقدم رأيه الشخصــيَّ ويُبدي نزعة إبداعية فـــى فيه.

هذه هي الوضعية التـي يُواجهها معظمُ الأساتذة اليوم. وهـي

الوضعية عينُها التي سلط عليها سيلفان غرانسير SYLVAIN من GRANDSERRE الضوء فـــى مؤلفه : <u>Un Instit ne</u>

Devrait pas (avoir à) Dire ça هذا الكاتب المناضلُ المُقتنعُ تمام الاقتناع بقضيّته، دائمُ الالتزام ف___ى"المغامرة الفريدة للّقاء اليومي مع المتعلمين". هو كاتبٌ يعيش بألم تجربةً ما سماه إيف كلوت Yves Clot، الطبيب النفسى المتخصص في الأمراض ذات العلاقة بالشغل، يــــ " Le travail empêché" (العمل المكبوح): يحكى أنه دائما عاجزٌ عن مواكبة الإجراءات والبروتوكولات السارية: وُجوبُ استعمال الوسائل نفسِها التـي تستهلك الوقت والطاقة، كالامتحانات الوطنية، والكُتيبات الرقمية، أو الإجراءات الرقمية. يقول: " نحن محاصرون كلَّ يوم بالجداول والشبكات والدراسات والتحريات وبالتقييمات الواجب القيام بها، وبالروابط التي يجب الاطلاع على محتوياتها، وبالإرشادات من كـل نوع. يجب أيضا تقديم طلبات مكتوبة قانونية للإدارة أو للممرضة أو للمستشار النفسي في انتظار جواب يَبقي محتَملا نظرا لقلة هؤلاء الأطر، ولأنهم منشغلون بالعديد من الشؤون " الطارئة". **اليومَ، هناك** العديدُ من الأشياء يمكن قضاؤها طيلة اليوم دون ممارسة فعل التدريس فـي الفصل، طالما أن هناك أمورا يمكن (بـل يجب) الاهتمامُ بها خارجَ حجرة الدرس". أمّا في ما يتعلق بالمؤطِّر التربوي الذي يجب أن يكون حاضرا لمواكبة الأشخاص ولتبسيط سُبل اشتغالهم، فهو يعيد ضبط نفسه مع كـل تغيّر جديد "لملكِيَــتِه"، وينفــي ذاته باستمرار عندما يُطالِب بالامتثال المطلق لآخر المناهج والمراسيم والمذكرات، والتي

فى الغالب ما تكون مناقضة لما سبقها." وهكذا فالأستاذُ يجد نفسَه منجرفا في دوّامة من التعليمات والتوجيهات، لدرجة يصبح من العسير عليه أن يركّز جُلَّ انتباهه في وظيفته البيداغوجية، هذه الوظيفة التى أصبحت مخنوقةً باشتراطات ومتطلبات لا تدع مجالا لمبادرات الأستاذ وتفكيره الخلاّق. إنَّ المؤسسة، بتَبّنيها، رسميا، " لمقاربة [يُقالُ إنّها] مُعقلَنة ومُجرّدة من أي إيديولوجيا، ومرتكزة على التجريب والمعطيات القاطعة الإثبات" [3]، فإنها تترك مجالا شاسعا للاعتقاد بوجود، لیس فقط وسائل أبانت عن فعاليتها بصفة مطلقة في حقل التربية، بل أكثر من ذلك، إذْ تَـدَّعـي وُجودَ خوارزميات [4]موضوعة سلفا وجاهزة للتنزيل. وبالتالي، وأمام سطوة الهواجس المؤسساتية، تصبح مهمةُ الأستاذ مختزلةً في التطبيق، حيث يتلقّبي تكوينه فقط فى طرق تشخيص صعوبات التعلّم لدى المتعلّمين - هذا ما يفسّر هوس الأنظمة بالامتحانات - من أجل تطبيق تدابير بلورها الباحثون وتَقَـرّرَ تبنّيها بعد مقارنتها بتدابير أخرى، تماما كما يحدث في مجال صناعة الأدوية. إن هذا لسببٌ من الأسباب الرئيسية التي أدّت إلى ترسّخ الفكرة القائلة بوجود ممارسات جيدة موحَّدة، ومتتاليات موضوعة بصفة نهائية، وسيرورة من العمليات أو التوجيهات التي تُيسِّرُ حلَّ مجوعة من المشاكل المُحدّدة. وهنا أبيح لنفسى حقَّ القول إن الأمرَ يتعلقُ بتنزيل ميكانيكــيِّ لطرق الخوارزمية التقليدية في مجال شديد التعقيد، ألا وهو تربية النشأ. غير أنّ هذه الفكرة تتنافى تمام التّنافى مع حقل البيداغوجيا حيث كـلُّ وضعية تتميز بتفرّدها [5]، وحيث إن لا شيء يُمكِنُ تنزيلُه بطريقة ميكانيكية، حتى وإن اسْتَمَـــــــنا في البحث عن التجسيدات الأكثر إقناعا لدحض هذه

وجديرٌ بالـذكر ها هنا أن حتى أولئك



هذه الطرق وطرحِها. إنّ هذه تستطيع أكثر من تنبيهنا إلى أهمية القراءة، وإلى ضرورة تخصيص أوقات خاصة للعمل تطوير القدرات ذات العلاقة بالكتابة، خصوصا في السنوات الأولى من التّمدرُس. لكنَّ هذا كلُّه لا يقول شيئا مُحددا عن طبيعة النصوص التي مكن استثمارها والآليات البيداغوجية التي يمكن الاعتماد عليها والصلة الأساسية بين القراءة والكتابة. وبالتالي غرّ، بطريقة تقريبية، من اليقظة "المقطعية "، إلى فرض " الطريقة المقطعية ". أمّا في ما يخصّ الصيغة الشهيرة المُقدَّمة كقاعدة ذهبية للقراءة، أي صيغة: فهم کتابی = قراءة + فهم شفوی، فهى قاعدة لم تعد دقيقة. زد على ذلك أنها تترك للمدرّس حريةً الاشتغال بأنشطة القراءة والتعبير الشفوي بوسائط من اختياره، وتبعا للطريقة التي يقرّرها هو نفسُه.

وتترك له أيضا مسؤولية إيجاد الحلول المناسبة ليستوعب المتعلّمون كيف أنّ تعلّم الكتابة وقواعدها ليس امتحانا مفروضا عليهم لاختبار ردود أفعالهم ومقاومتهم، وإنما هو مغامرةٌ عجيبةٌ مدهشة، مغامرةٌ رائعةٌ لكونها فرصة للتواصل مع الآخر البعيد عن دائرة الأقارب.

وفي هذا الصدد يمكن أن نحلّل الإرشادات التقنيةَ المُقترَحةَ على المدرّسين بفرنسا في إطار منظومة EvalAide التى وضعها المجلس العلمى للتربية والتي تُشخّص حاجات كلِّ متعلّم في القراءة والرياضيات عبر امتحانات وطنية مُوحّدة، وذلك لتمكين المُدرّس من القيام بفعل تربوي موائم لحاجات المتعلم. غير أنّ طرقَ معالجةِ التعثرات التي تُرصَدُ تبقى في جوهرها مرتكزةً على النتيجة الواجب تحصيلها. هذا ناهيك عن أنّ الاختبارات تعتمد على بعض الآليات كأنّها صالحة لكل سياق ولكل زمان ومكان، مع غض الطرف عن انعكاساتها على أداء المتعلّمين والمُتعلّمات. نقترح على طفل يقرأ ببطء

الدرّاسات، في أحسن الأحوال، لا

أخطائه موضوعا للتفكير قبل أن تتحول هذه الأخيرة لعادات سيّئة، وأن يستوعبَ بعض التدابير التي يجب أن يقوم بها لمواجهة وضعيات متعدّدة، وليُنجزَ مهاما هذه الأمورُ كلُّها هي - بطبيعة الحال -أمورٌ بالغةُ الأهمية، لكنَّ هذا لا يُعطى لأى أحد الحقَّ في اعتبارها، بأي حال من الأحوال، برنامجا للتدريس. إن المُدرّس هو الذي من المفروض أن يبني وضعيات تعلّميةً أصيلةً ومُحفّزة، وأن يختار المُحتويات الثقافيةَ التي تُمكّن المتعلّمين من اكتشاف معارف جديدة، إضافة إلى التمارين التي هي وسائل للتدرّب وتثبيت المكتسبات.

الــذين يدافعون عن الفكرة القائلة بإمكان وجود "خـوارزمـيـات بيداغوجية" - مع الكثير من الحيطة والحذر من جانبهم، أكثر من الصحافيين والسياسيين الذين يعتمدون على أبحاثهم - يضربون ألف حساب قبل اقتراح خوارزمية من هذا القبيل !إنهم يكتفون فقط بتقديم بعض النصائح الأوليةِ حول ضرورة الأكل والنوم الجيِّدَين، وحول إثارة فضول المتعلّم

أو إشغاله. لهذا انتشرت العناوين الرنّانة: " الانتباه والطرق الفعالة "، والنصائحُ الغارقةُ في العموميات، وفي

بعض الأحيان في صيغ بلاغية رديئة، ك " للإبقاء على الانتباه لابد من أن نُبدِيَ استعدادنا وأن نبتعد عن كل

مصدر للإلهاء". نجد أيضا مجموعة من الأبحاث العلمية الرصينة الجديّة التي

لا تنتهــى إلا إلــى سلسلة تعليمات، هـي فـي الجوهـر استرجاعٌ وإعادةُ صياغة لتصورات بيداغوجية منتشرة

منذ زمن ليس بالقريب: "يجب الحرصُ على ضمان التزام الطفل فــ

تعلّماته، وعلى أن يستثمر انتباهه أثناء

اشتغاله، وأن يُخطئ ويجعل من

ولمزيد من الدقّة بخصوص السؤال المصيري، سؤال تعلم القراءة، فيمكن القول إن الدرّاسات الفوقية-الدولية [6]، هي أكثرُ ما نلجأ إليه بحثا عن أفضل الطرق التعليمية. ولكن، إذا أمعنًا النظر جيدا في هذا الأمر، نكتشف أنها غيرُ جديرة وغيـرُ قادرة على بلورة

إن المُدرّس هو الذي من المفروض أن يبنـيَ وضعيات تعلّميةً أصيلةً ومُحفّزة، وأن يختار المُحتويات الثقافيةَ التي تُمَكِّن المتعلِّمين من اكتشاف معارف جدیدة

أن يفعل ذلك بطريقة سريعة، والطفلُ الذي لا يستطيع التفريق بين بعض الحروف، نقترح عليه تمارين يُنجزها كي يصبح قادرا على ذلك وهلم جرا... هذه التمارينُ ليست غيرَ نافعة بشكل مطلق، لكن لا يجب أن ننسى أنّ الأستاذَ هو، في يجب أن ننسى أنّ الأستاذَ هو، في المقام الأول والأخير، القادرُ على زرع هذه الطرق العلاجية، بالطرق الأنسب لخصوصيات مجموعة الأنسب لخصوصيات مجموعة مهما بلغت درجةُ علميتها فإنها لا يكن أن تُحصر في سلسلات من يكن أن تُحصر في سلسلات من التمارين الفردية.

وفي الأخير وجَب التذكيرُ أننا هنا لا نتعدى تحليل الأعراض، لأننا نُنَحَي جانبا السؤال المركزي: سؤال علاقة الطفل بالكتابة وسؤال المعنى الذي يُعطيه هذا الطفل لتعلّماته: لماذا نتعَلّم القراءة والكتابة؟ أمِن أجل أن نخضع لأوامر البالغين وخوض تجربة المدرسة، أم من أجل الوصول إلى تواصل أكثر دقة وأوفر سعادة مع بنى البشر؟

الفعلُ التربوي: حِسابٌ أَمْ تَحكيم؟

في الحقيقة، إذا نظرنا إلى قطاع التربية من موقع قريب بما فيه الكفاية، نجد أنّ الفعلَ التربوي لا مكن أن يكون إطلاقا "سلسلة من التدابير أو التوجيهات التي مَكّن من معالجة مجموعة من المشاكل المُحدَّدة". وهذا من حسن الحظ! فعقلُ الأستاذ ليس آلةً حاسبة، بل هو "جهاز" للتّحكيم. ففي الحساب، لا وجود إلا لحلّ واحد أوحَد؛ أما في التحكيم فهناك دوما إمكانات لا تُعدُّ ولا تُحصـى. أوّلا، لأن التحكيمَ يتِمُّ وِفق أهداف ضمنية أو صريحة. فكُل أستاذ يحمل مُثلا تربويةً عن " القسم الجيد": إمّا قسمٌ فيه كـل فرد يفعلُ الفعلَ عينَه فـي الوقت نفسه، أو قسمٌ فيه المتعلمون يتبادلون فيما بينهم ويتشاركون فيما

وظيفةٌ تطبيقية، أو قسمٌ يُـفكّر فيه المتعلمون بطريقة جماعية... أضف إلى ذلك أنّ مثال هـذا "الـقسم الـجيد" يندرج ضمن تصور عن "المدرسة الجيدة ": إما أنهُ مشروعٌ قائمٌ على الانتقاء أو مؤسسةٌ فى خدمة المُواطنة. وأخيرا، هذا التمثل عـن "المدرسة الجيدة " يحيلنا - أولا وأخيرا- إلى مشروع من أجل المجتمع والعالَم: تعزيز حرية الفكر بين أفراد الجماعات المتضامنة، أو دعم وضمان الانتصار الوشيك للهواجس الفردانية الأنانية، في البقاع كـلِّها ، عبر جعل كل فرد يتقوقع حول ذاته. وهكذا، فلا أحد يستطيع غـنَّ الطرف عن الجوانب القيميّة في مجال الــــربـية، لأنها حاضــرة دوما، واضعة بصمتها في أبسط إيماءاتنا، وبلا شك، أكثر وضوحا

وشفافية في أعين متعلّمينا الذين لا

مكن إلا أن يشعروا بها ويستبطنوها.

غير أنَّ التحكيمَ يقتضي الاختيارَ

أيضا، في وقت مُحدّد، بين ممكنات

عديدة، الأمرُ الذي يقتضي

بالضرورة من الحَكَم إبداءَ تقديره

الخاص وتأويل المؤشرات بطريقة آنية

لتحديد أو تخيُّل ما يجب قَولُه، أو ما

یجب فعلُهُ کی یکون (یبقـی)

القسمُ بيئةً مواتية للتعلُّم. لقد قُلت

مرارا وتكرارا إنَّها مسألةُ " فن -

ممارسة "، أو إذا صحَّ تعبير ميشيل

سيرتو [7]: فَهمُ ما يقع، وتمحيصُ

بينهم؛ إما قسمٌ وظيفةُ المتعلمين فيه

نتائجه، وتصوُّر بدائل مع تقدير آثارها المحتملة، ثم اختيارُ الوسائل بعد تحديد سُبلِ التدخل. وبغض النظر عن المظاهر، فإنَّ هذا العملَ لا صلةَ له البتة مع تطبيق الخوارزميات الجاهزة، بل العكس الاشتغال وأثنائه، حضورٌ يقترن فيه الاستثمارُ الكاملُ لما ندرِّسُ مع الذين ندرِّسُهُم. إنه القُدرةُ على تِبيان الوقت الذي فيه تتداخلُ الأهدافُ الوقت الذي فيه تتداخلُ الأهدافُ المتباينة، وأين مِكن استغلال الفرص،

"هذه اللحظة اللغز"، حيث مجموعةٌ من المعلومات تُكوِّنُ ترسُّبا، أي معطيات متنوعة متعددة، تتداخل في ما بينها وتندمج لتغدوا سندا لقرار يُتّخذُ: "مارى، أتستطيعين شرح ما كُتِبَ في السبورة؟" "سأوقف عَرضي، وسيبحث كل واحد منكم عن مثال يجسّد ما قُلته للتو." " سأشتغل من نعيم ولورا وماييل، فــى الوقت الذي فيه الآخرون يُنجزون تمرينهم." "هل بإمكانكم البحثُ كتابةً عمًا قلته للتو، ومقارنة نتيجة بحثكم مع نتائج زملائكم؟" "الآن، لنوقف النقاش، ولنحاول جميعا وضع خلاصة لما كنا نقوله." زبدةُ القول، كثيرةٌ هـى القراراتُ البسيطةُ التي تجعل القسمَ نظاما بيئيا حيًا حيث التعلّم دامًا في قلب النشاط الجماعــى.

والقدرةُ على اتخاذ هذه القرارات البسيطةِ كلَّها ليست هبة غامضة المصدرِ ولا بعدا روحانيًا من أبعاد هذه المهنة. بل العكس ، لأنها التجسيد التام لمهنية المدرِّس، وما يجعل منه خبيرا فعليا في التعلّمات، وهذا ما استطَعْتُ ملاحظتهُ يوميا أثناء إدارتي للمعهد الجامعي لتكوين الأساتذة بأكاديهة ليون.

إِنَّ اتخاذَ مثل هذه القرارات قُدرةٌ قابلةٌ للتكوين وقابلةٌ للتفكير وبالتالي قابلةٌ للتطوير، إذ ليس هناك فن يستطيع الانكماشَ على ذاته، وإلاَّ كان مصيره التيه والتآكل في فوضى العادات. ولهذا السبب عينه كلُّ أستاذ بحاجة ماسة إلى تحليل ممارساته التربوية وتبادل الخبرات والتفكير في مهنته بطريقة جماعية طيلة مسيرته المِهْنِيَة. إنه بحاجة جوهرية لتكوين مستمر ذي أسس متينة، يندرج ضمن أوقات عمله، أسس متينة، يندرج ضمن أوقات عمله، وحيث يمكنه الالتقاء بالباحثين، وفي الآن ذاته، يصبح أستاذا باحثا، تماما كما يجب غلى كل أستاذ أن يكون.

ولتحقيق هذا المبتغى، لدينا اليوم وسائل كثيرة جدا. من جهتي، أستعمل شبكات للقراءة لتحليل التفاعلات البناءة في الفعل التربوي. نفهم أيضا كيف يمكن تغيير إعادة توجيه المؤشرات بين قطبين سهلي التحديد، من أجل التّمكّن من التحكيم في بيئة القسم الحيّة وبين تدخلات عديدة ممكنة. وكمثال لهذه

بإمكان الأساتذة

المطالبة بحقهم فــي

أن يكونوا مصممين

فعليين للتّعلمات،

صانعين لوضعيات

تعلّمية فيها عِحْصون

باستمرار معارفَ

تخصصاتهم.

الهوامش

prolétariat، تفقیر، وخفض القدرة الشرائية لفرد أو لفئة المعجم اجتماعية معينة... في المعجم

البورجوازية أو البورجوازية

الصغيرة إلى البروليتارية، نتيجة

للنزعة الاحتكارية لرأس المال:

يقول كارس ماركس: " إن تراكم .. الثروة في قطب هو تراكم للفقر في القطب الآخر". (المترجم).

رأسمال يؤدي بالضرورة إلى

تطوير وسائل الإنتاج من أجل

تراكم أكبر لرأسمال؛ لكن لا يجب

أن نغفل أيضاً أنه وضح طبيعة هذا التراكم: الملكية الخاصة

لوسائل الإنتاج واستغلال الطبقة

و على بيع قوة المُجِبَرة على بيع قوة

Stanislas Dehaene et le .3

Conseil scientifique de

Science au service de

:Des algorithmes.4

l'Éducation nationale, La

Dans l'entreprise

عملها (المترجم)

الماركسي،

التفاعلات، مكن أن نأخذ التموقع الشاق بين صرامة البرمجة والانفتاح على الأحداث الطارئة. فالبرمجةُ أمرٌ لابد منه ضمانا لحزم المقاربة ولتوفير فضاء "مأمون" للمتعلّمين. إلا أنها قد تبلغ من الصرامة حدّ التحجّر لدرجة أنها قد تصير عائقا أمام التفكير في كل ما يقع بصورة فجائية. ضروريٌّ ضرورةً بالغةً ذلك الانفتاحُ على اللامُتَوَقُّع، وهو ضروريٌّ لأنه مِكّن من تكييف المعارف الأكادمية مع الظروف التي يعيش في كنفها المتعلمُ، وضروري لأنه حافزٌ قوي لرغبة التلميذ فــي التعلّم ولتيسير نقل المعارف خارج المدرسة. هذا الانفتاح ضروريٌّ كما قلنا، للأسباب التي بَيّنا، إلا أنه قد يغدو، إذا كان انفتاحا فوضويا، عنصرا مدمّرا للإطار الذي نشتغل داخله، وهكذا منع أي محاولة من طرف الأطفال فى الفهم المعمّق للأشياء والأحداث.

من المفروض إذن أن نُخطِّط المجزوءات، أن نجزئها إلى مراحل مختلفة، أن نحدد طرق الاشتغال بدقة... وفي الوقت ذاته، لابد من أن نكون كلنا أذانا صاغية لردود الفعل الفردية أو الجماعية من طرف المتعلّمين، وأن ننتبه لمؤشرات عدم الفهم أو الفهم المغلوط، وأن نبدى اهتمامنا بالأمثلة والاقتراحات المُقَدَّمة، وأيضا للأحداث التي قد تنشُب فجأة، للأحداث التي قد تصلح لتكون وسيلةً مكن استثمارها في عمل مشترك ينخرط فيه الجميع، أيْ فــى عمل مشترك تُبنى به التعلّمات وتَتَحَقَّقُ مشاركتها.

في الحقيقة، إنها موازنةٌ بالغةُ الصعوبة، ولا يمكن أن تكون مُكتَسَبة بصفة نهائية، بحيث تقتضى تغيير المؤشّرات باستمرار كَىْ يكون للقسم معايير اشتغاله وليكون قادرا على التكيّف مع اللامُتَوَقّع، شأنه في ذلك شأن كلّ بيئة حيّة. هذه المُوازنة (بين التخطيط الصارم وتدبير اللامُتَوَقّع) هي وحدها الكفيلة بجعل المتعلّمين والمتعلّمات جزءا من بروتوكول (تَعلُّمـي- تعليمـي)، فاهمين طُرُق اشتغاله، عارفين متى يستطيعون التحرّر منه، ووفق أي شروط، وواعين بأهمية هذا البروتوكول ومتى وَجَـبَ الامتثال له حرفيا.

وقد نجد موازنةً من نفس النوع، بين

دينامية الاكتشاف وثبات فعل الاكتساب. فالأولى تعطى الأولوية لكـل أشكال البحث والاكتشاف، أما الثاني فيُركز أكثر على تتبُّع المكتسبات وهيكلتها وإدماجها. إن الدينامية تُلحُّ على الإتمام والصيغ النهائية، وتركِّزُ على إشراك التلاميذ في بناء تعلّماتهم، دون غض الطرف عن إمكانية تفضيلهم لأسهل الطرق، أسرعها وأكثرها سطحية. أما الثبات فَيَرنو إلى التمَكُّن من القدرات، وإعطاء الطابع الرسمـي للتعلّمات، الأمر الذي يحمل في طياته خطورة من نوع آخر، تتمثل في إمكانية تحويل فضاء التعلّم إلى كتلة جامدة متحجّرة، وجعل فعل التعلّم مجرد اجترار للكلام.

وهنا أيضا لا مجال للحديث عن خلاصات مثالية، إذ لا وجود إلا لتصحيح وتعديلات وتنقيحات مستمرَّة، هي الضامنة لاتساق التعليم وتماسكه، وهي الكفيلة، في الوقت نفسه، بتكوين ذكاء المتعلمات والمتعلمين.

لهذا أقول: يجب توسيع حقل الإمكانات أمام الأستاذ، ومنحه فضاءات يستطيع فيها استثمار تقديراته الخاصة. وبعيدا عن كـل "بيداغوجية على طريقة الخوارزميات،" بإمكان الأساتذة المطالبة بحقهم في أن يكونوا مصممين فعليين للتعلمات، صانعين لوضعيات تعلمية فيها يمحصون باستمرار معارفَ تخصصاتهم.

هذا - بكل بساطة - لأن تغيير المؤشرات ليس تأرجحا بين احترام المتعلّم وتقدير المعارف - خلافا لما تسوقه المشاحنات الكلامية الطاغية في وسائل الإعلام، كلما جرى الحديث عن إصلاح المدرسة- بل إن تغييرَ المؤشرات نقيضُ هذا بالضبط، أى عدم القبول بالتقوقع وسط هذا التخيير العبثي. الأمرُ عكسُ ذلك مّاما، أي إنّه البحث الدائم عن التّماس الذي يجعل التلاقى (بين

التلاميذ والمدرّس والمعارف) ممكنا ومثمرا، مع إثارة رغبة التدريس لدى الأستاذ، وتحفيز رغبة التعلّم عند المتعلّم.

إنها مغامرةٌ عجيبةٌ ومغريةٌ حيث التزامُ الأستاذ لا يمكن أن يؤدي إلى التزام المتعلّم إلا إذا كان هذا الالتزام مُرفقا بتقييد لا عنى عنه: " سأفعل كل ما بوسعـى لكى تتعلم، لكن أنت من يجب أن تقرر أنك ستتعلم." وقدّم إيريك بريرا [8] مديحا رائعا للَّباقَةِ في مجال التربية والتعليم، وهو على حق تماما إذْ قال: في الجمع بين الالتزام والتقييد، هناك بحث عن المسافة الملائمة التي تُمكِّن المدرس من أن يجيز دون أن يفرض، وأن يدرّب دون أن يُرغِم، وأن يحَفِّز دون أن يحتجز. فاللباقةُ هـى بدون أدنى شك أسمى فضيلة تربوية. ولكن يجب ألاّ ننسى أنَّ هذه اللّباقة تفلت من قبضة كـلً مخطط جامد على شاكلة الخوارزمية. فهل يمكن تخيّل حاسوب يشتغل بلباقة؟ لا وجود لأي آلة يمكن أن تصاحب كائنا بشريا صغيرا في سبيله نحو الحرية، وإنْ كانت هذه الآلةُ مجهِّزَةً بأحدث برامج الذكاء الاصطناعــي.

سيخسر الأساتذة كـل شيء إنْ هم تنازلوا عن حريتهم التربوية. لديهم عالمٌ، عالمُ الغد، عالمٌ ليس جاهزا بل يجب عليهم بناؤه. وأولى لبنات هذا البناء هى المطالبة بحريتهم في مجال عملهم.

يا أساتذة العالم...

ألغوريتم. طريقة حسابية تُستَعمل في حلّ المشكلات العويصة، واسم هذه الطريقة سنبان - و ... الخوارزمي. (معجم عبد النور - - - ا عبد النّور) situation est singulière. méta-analyses .6 .internationales L'Invention du quotidien. 1990. J'ai repris et développé l'analyse de Michel de Certeau dans : le champ pédagogique dans

dire et le faire, Paris, ESF Éditeur, 1995. Eirick Prairat, Éduquer .8 Éditeur, 2017

La Pédagogie entre le

نُشر الجزء الأوّل من هذا المقال بمجلة حروف حرّة، العدد 33، ديسمبر 2023، ص. ص. 10-13. هذا العدد متوفّر على الرابط: http://tiny.cc/hourouf33

عيد المرأة الفلسطينية



بقلم: سميّة رطبي أستاذة الفلسفة وباحثة في قضايا الفلسفة والتاريخ من المغرب

الفلسفة والتاريخ من المغرب

فليحتفلُ العالم قاطبة بينما على أرض فيه، تتناثرُ جثث المقهورات والثكالي والمرضعات والصبايا

a

يا لها من مفارقة غريبة تثير الحُمقَ والجنون! ففي الوقت الذي تتواترُ فيه الاحتفالات السنوية بِعيدِ المرأة وترتفع الشعارات المنتصرة لحريتها وكرامتها والمساواة التي تنعم بها، بالقنابل، وتحت الأنقاض، وجوعا، ومرضا بسبب شروط الحرب التي لا وصف لها بالكلمات، والبنية الاجتماعية المختلّة حيثُ لا وجود إلا للمخيمات الغائصة في الوحل والمياهِ العكرة في فصل الشتاء والصقيع.

دعوني أهنئ نساء العالم في كل بقاع الأرض، وأهنئ المسؤولات منهن في مجلس الأمن الدولي ومنظمات حقوق الإنسان، والمشتغلات في السياسة، بعيدهن الأممي السنوي، عيد يتزامن مع مقتل عشرين ألفا وأكثر من نساء فلسطين. إنه لرقم مشرف ومرض لنساء الشعب المحتل لأن يحتفلوا!

احتفلوا وتقاسموا أشهى الحلْويات، وتندَّقوا ألدَّ المشروبات، وتبادلوا أبهى الهديات، وارقصوا على أرقٌ الأنغام، بينما النساء في غزةً طعامهن "خبيزةً" ـ إن وُجِدتْ ـ يتجرعن العلقم، ويتبادلن التعازي المختلطة بالتهاني، وهن يرتعدن خوفا وتأهباً تحت القصف واستمرار العدوان.

فليحتفلُ العالم قاطبة بينما على أرض فيه، تتناثرُ جثث المقهورات والثكالى والمرضعات والصبايا اللواتي لم يسمح به الحصار والميزُ العنصريُّ الناجمان عن وضعية الاحتلال. ولْيَتَرَدَّم هذا العالم المقسومُ بين ظالم طاغٍ ومظلوم طُمِست صورتُهُ، وكُتمت أصواتهُ طَفِ الجدران، حيث نساءٌ أسيرات معذباتٌ باكيات منتحبات.

أين قيم الكرامة والحرية إذن ؟ قيم الحب والإخاء؟ بل أين قيمة الحياة، قيمة العيش؟

لقد اندثرت قيم العالم القديم بهمجيته وبربريته وغت قيم جديدة تعيد للإنسان حقه وكرامته، قيم تعطى للمرأة مكانتها التي تستحق في المجتمع... هذا ما جعلونا نعتقده بعد الحرب العالمية الثانية. وساهمت التقنية في ترسيخ وإثبات ما زُعِمَ؛ لكن كان يجب أن تمر أكثر من سبعة عقود لندرك أن هذه الشعارات زائفة واهية. إنها لا تفعل شيئا أكثر من تسليع المرأة وجعلها العملة السائدة في سوق التقنية الجديد. إنها مجرد قيم واهية تفصل فصلا عنصريا بين المرأة في الغرب والمرأة في الشرق. إنها قيم النفاق والتمييز العنصري الذي يسري على الرجال كما يسري على

إن هذه القيم الفردانية المتوحشة التي جعلت المرأة تحنط جسدها في الصور ووراء الاصباغ، لم يكن بمقدورها أن تتعرَّى إلا بعد السابع من أكتوبر حين كشفت المرأة الفلسطينية عن القيم الحقة التي كدنا ننساها لفرط التقليد.

فإذا كان وعى المرأة العربية قد استلب، كما استلب وعي الرجل العربي جراء القيم الكونية الزائفة التى تفرض نفسها فرضا من طرف مصانع الرأسمالية التي لا تهدأ، فذابت وتماهت مع رغبة لا تشبع في الاستهلاك، فإن قيم المرأة الفلسطينية الأصيلة ما تزال منتصبة بشموخها وتحدِّيها. تلك المنظومة الغنية النبيلة العصية على فهمنا، طويلةٌ متعرجة على أن ندركها دفعة واحدة، وما تزال نساءُ العرب والعالم قاطبة بحاجة لأن تجلسن بتواضع من أجل أن يتتلمذن على يد هذه المربية الاستثنائية. إنها المرأة الملتصقة بأرضها، والغاصة بكلتا يديها في ترابها، لأنها تؤمن بأن هذا التراب هو حقها، ولا يستطيع أي كائن مهما عظمت قوته أن يفرقها عنها، فإما أن تعيش فيها بأمان، أو أن تلتحم أشلائها بكائناتها العضوية تحتها بسلام أبدى.

أي قيمة أسمى من قيم حب الأرض التي تجعل الثكلى تعود للأنقاض، وتتعطر بالشمس فوق ركام بيتها الصغير؟ وأي قيمة أجلى من أن تمسك الفنانة الفلسطينية ما تبقى من فرشاتها، وما استطاعت الحصول عليه من طلاء، لترسم أفخم اللوحات على الجدران المتهدمة؟ إنها الطبيبة المحترفة التي تركض تحت القصف لتسعف مريضا يعاني، وهي كذلك تلك الصحفية المدثَّرُ صَدرها بدرع واقِ من الرصاص، مسلحةً بميكروفون ودفتر وقلم، مهمتها نقل ما يجري على أرضها من فظاعات، والتعريف ما يخوضُه شَعبُها من نضال وما يطالَهُ من عدوان واضعةً نفسها أمام النيران التي لا تترَدَّدُ في استهدافها، أي امرأة غير المرأة الفلسطينية تستطيع أن تفعل ذلك؟ إنهن نساء غزة الحوامل اللواتي يضعن وسط الخراب بين خيار الموت أو إعمار الأرض بالرجال.



فالمرأة الفلسطينية وحدها تتزوج وسط الركام والعويل منذرة بإعادة التشييد والبناء، وبانتصار غريزة الحياة، رغم عداء المعتدين، لأنها تؤمن بالمعنى المجرد ومن الزيف المادي. هي وحدها تنثر البهجة والسرور في الأهالي المنكوبين، والأطفال العراة الجائعين وهي تزف لحبيبها في وطنها الذي ليس لديها وطن سواه. ففي فلسطين وحدها تولد المرأة فتُصيرُها ظروف الاحتلال مُقاوِمةً وأماً للشهيدات والشهداء.

فإن تهاوت قيمُ الرجلِ العربي وقيمُ المراقِ العربية، ففلسطينُ ما تزال حاضرة لتذكرنا جميعا بأسمى قيم التضامن والتآزر والتضحية والحب، وأهم شيء معنى الوطن الذي لا يحلم مواطنوه بالتخلي عنه من أجل وطن آخر أفضل، بل إنهم ما فتأوا يبكون خشية فراقه، والنازحون في لبنان والأردن ما انتهوا من طلق الزفرات حالمين بالعودة إليه يوما.

وبعد، فهل يليق بالمرأة في العالم العربي والإسلامي أن تحتفل بعيد الحب ـ عيد القديس فالنتاين ـ وعيد المرأة وكل الترهات والقشور التي ترسخت في لاوعيها ووعيها المستلب؟

أما آن لها أن تثور من أجل المرأة مثلها، وأن تنتفض من أجل آلاف النساء اللواتي لقين حتفهن في غزة بين ثكلى وأرملة ومُجهضة ويتيمة؟ ألا تتململ من وسائد الحرير ومضاجع القطن من الخليج إلى الخليج لتقول لا للقتل؟ ألا تتخلى عن شياكتها وإعجابها بنفسها وراء الكاميرات والعدسات، وتخلع كعبها والعران ومصر وكل البلاد العربية، والأردن ومصر وكل البلاد العربية، الفلسطينية؟ ألا تتنحنح المرأة العربية وراء الميكروفونات لتدين القتل وتدع كل الحرائر للتنديد؟

إنني لا أخاطب الرجل الآن الذي تخلى عن أفكاره الجمة، وغيبت وعيه ألافُ المنومات حتى بدت له العروبة شعارا فارغ ورأى شأن غزة وما جاورها أمر يخص السياسة، وهو لا يفقه في السياسة إذ هو مشغول بتفاهاته التي لا حدود لها، بل أخاطب وجدان المرأة المثقفة ذات الإحساس المرهف بإنسانية المرأة مثلها أن تخلق معادلة أخرى في الشارع مثلها أن تكسب رهانا آخر من رهاناتها، فتخرج وتندد في مناسبة أو دون مناسبة بالتعسف الذي يطال المرأة الفلسطينية، وغيرها من النساء.

المرأة الفلسطينية وحدها تتزوج وسط الركام وسط الركام والعويل منذرة بإعادة التشييد والبناء، وبانتصار غريزة الحياة، وغم عداء المعتدين المعتدين

"

هل همشت الدراسات الأكاديمية دور المرأة التونسية في مقاومة الاستعمار؟



بقلم: **منصف سلطاني** أستاذ وباحث في التاريخ السياسي المعاصر

اقتصرت الدراسات التاريخية حول دور المرأة التونسية في نضالها ضد المستعمر على بعض المقالات في الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية

لقيت المرأة التونسية اهتماما كبيرا من قبل المختصين في حقول معرفية شتى كالعلوم السياسية والاجتماعية والإنسانية، غير أن الدراسات الأكاديمية في الجامعة التونسية لم تف المرأة التونسية حقها في مسألة مقاومة الاستعمار الفرنسي خاصة في حقبة الخمسينات أي منذ اندلاع الثورة المسلحة يوم 18 جانفي 1952. وإن المتأمل في الدراسات التي حرصت على تناول نضالات الحركة الوطنية في فترة الاستعمار، لا يلاحظ وجود دراسة مستقلة حول إحدى النساء التونسيات حول دورها في مقاومة الاستعمار الفرنسية مثل شاذلية بوزقرو أو توحيدة بالشيخ أو بشيرة بن مراد وغيرهن كثيرات.

اقتصرت الدراسات التاريخية حول دور المرأة التونسية في نضالها ضد المستعمر على بعض المقالات في الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية. أما وجود الدراسات الأكاديمية المستقلة حول هذه المسألة فهو أمر نادر ويكاد يكون منعدما في مناسبات أخرى.

سنحاول في هذه الورقة إبراز بعض المحطات النضالية التي كانت فيها المرأة التونسية في طليعة النضال إلى جانب الرجل خلال الفترة الاستعمارية. وكانت بصمة المرأة التونسية بارزة في الكثير من المحطات النضالية ضد الاستعمار الفرنسي

حضور بارز في محطة 9 أفريل 1938 النضالية

عرفت البلاد التونسية أواخر حقبة الثلاثينات يومى 8 و9 أفريل 1938 مــوجــة إحتجاجات ضد الاستعمار الفرنسي حـيـث خـرج الــــــونـــــاون إلى الشارع في مسيرات

لمطالبة السلطة الاستعمارية بتكريس جملة من الإصلاحات السياسية وهي إقرار برلمان تونسي وتكوين حكومة مستقلة وإطلاق سراح المعتقلين في السجون وفي مقدمتهم زعيم الشباب الأستاذ بالمدرسة الصادقية على البلهوان الذي فصل عن المهنة بتهمة تحريض الشباب على عصيان السلطة الفرنسية إثر الخطاب الشهير الذي ألقاه في مقر الحزب بعنوان " نصيب الشبيبة في الكفاح"، دعا فيه الشباب التونسي_ إلى مواجهة الاستعمار الفرنسي.

سجلت المرأة التونسية حضورا بارزا في مظاهرة 9 أفريل 1938 المناهضة للاستعمار الفرنسي.. وضمن هذا السياق أكد الدكتور عادل بن يوسف المختص في التاريخ المعاصر والزمن الراهن بالجامعة التونسية أن التقارير سجلت مشاركة أكثر من 50



امرأة تونسية من فئات عمرية مختلفة في هذه المحطة النضالية وكان في طليعة المشاركات في أحداث 9 أفريل 1938 بنات أخت الزعيم الحبيب بورقيبة وخديجة الطبال.

رفعت المرأة التونسية يوم 9 أفريل 1938 إلى جانب الرجل عديد الشعارات التي ترفض الوصاية الاستعمارية على الوطن وكانت زغاريدهن تعلو وسط المسيرات دعما للخطب السياسية التي ألقاها زعماء الحركة الوطنية التونسية.

لم تقتصر مشاركة النساء التونسيات فقط على محطة 9 افريل 1938 بل تواصلت في الفترات الموالية، وشاركن في كل حراك مناهضا للاستعمار الفرنسي حيث مازالت الذاكرة الجماعية في تونس تحتفظ بجهود النسوة لدعم حركة الكفاح التحريري.

مشاركة علنية في المقاومة المسلحة منـذ جانفى 1952

إضافة إلى تغييب دور المرأة التونسية في مقاومة الاستعمار في الدراسات الأكاديمية، تم تهميشهن في كتب التاريخ والبرامج الرسمية في المدارس.

وكان دور المرأة التونسية في حركة المقاومة المسلحة جليا في بداية الخمسينات حيث سجلت هذه المحطة النضالية أسماء تونسيات مناضلات صعدن إلى الجبل وساعدن المقاومة المسلحة التي يسميها المستعمر " حركة الفلاقة". وسنستعرض هنا أسماء المناضلات

التونسيات اللاقي لعبن دورا بارزا في حركة التحرير الوطني خاصة في الفترة التي امتدت بين 1952 و1954 (انظر الجدول المصاحب).

لا تقتصر مشاركة المرأة التونسية في محطة المقاومة المسلحة التي اندلعت يوم 18 جانفي 1952 على القائمة الاسمية المرفقة بالجدول المصاحب، وهن ممّن لعبن دورا بالغ الأهمية في دعم الثورة المسلحة بالجنوب التونسي، بل هناك أسماء مناضلات وطنيات في جهات أخرى من البلاد التونسية تستوجب البحث والتدقيق.

كما تعرضت عدة مناضلات تونسيات خلال الحقبة الاستعمارية إلى النفي والاعتقال والسجن بسبب دعوتهن إلى المقاومة والنضال ضد أشكال الاستعمار وفي مقدمتهن خديجة الطبال التي نفيت إلى رمادة أقصى الجنوب التونسي وكذلك شريفة المسعدي المناضلة النقابية زوجة المناضل النقابي ورجل الدولة الأستاذ

| دورها في مقاومة الاستعمار | اسم المناضلة |
|--------------------------------------|----------------------------|
| الصعود إلى الجبل رفقة زوجها | خضراء الزيدية |
| استقبال المقاومين وإيوائهم | مبروكة بنت محمد |
| حمل السلاح مع الأزهر الشرايطي. | حسينية رمضان عميد |
| تفجير جسر على وادي المالح بين قفصة | |
| وزانوش | |
| انضمت إلى مجموعة المقاوم الأزهر | محجوبة الموساوي |
| الشرايطي | |
| تجميع المعلومات ومدها للمقاومين | |
| خياطة زي المقاومين والمساهمة بالمال | ريم المسية |
| نقل الأخبار إلى الثوار متنكّرة تاجرة | دولة بنت محمد الصالح عميد |
| متجولة | |
| دعم زوجها والتعرض إلى جروح في إحدى | الطاوس حرم الأزهر الشرايطي |
| المعارك | |
| تمويل الثورة بالمال | زهرة نصيب دولة |
| المشاركة في معركة طبلبة ضد المستعمر | آمنة براهم |
| الاستشهاد في المعركة | |

محمود المسعدي ومجيدة بوليلة التي تم تهجيرها إلى تبرسق.

رسمت النساء التونسيات مسيرة طويلة من النضال بمشاركتهن في معركة الكفاح التحريري التي توجت بالاستقلال سنة 1956. وكانت المرأة التونسية حاضرة بقوة من خلال المشاركة في الكفاح المسلح أو في النضال السياسي والثقافي في الجمعيات والأحزاب السياسية في ظل مجتمع ذكوري تقليدي.

وإن الباحث في اختصاص التاريخ المعاصر يكاد لا يجد دراسة أكاديمية مستقلة تتطرق إلى نضالات المرأة التونسية ضد الاستعمار الفرنسي بل توثيق دور التونسيات اقتصر فقط على بعض التلميحات والمعلومات الموجزة في الصحف والمجلات والمواقع

الإلكترونية فقط، ربما يعود ذلك إلى ندرة الوثائق الأرشيفية ولكن يمكن الاعتماد على الرواية الشفوية لحفظ الدور البطولي الذي قامت به التونسية

المراجع

في الفترة الاستعمارية.

عليه الصغير،(عميرة)، المقاومة المسلحة في تونس الجزء الثاني (1939- 1956) المعهد الأعلى تاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2004.

" تونسيات في الذاكرة : حملن السلاح واستشهدن على الميدان ونفين في رمادة وخضن أشرس المعارك "، جريدة الجمهورية، 8 مارس 2017 .

رسمت النساء
التونسيات مسيرة
طويلة من النضال
بمشاركتهن في
معركة الكفاح
التحريري التي
توجت بالاستقلال



جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 50955095

البريد الالكتروني: contact@tounesaf.org

الموقع: www.tounesaf.org

فايسبوك: facebook.com/tounesalfatet

تويتر: twitter.com/tounesalfatet

انستغرام: @tounesaf